

إن نظرية الكم ترى أن النور يتألف من جسيمات صغيرة منفصلة عن بعضها وتدعى الفوتونات، ولها كتلة كالمادة وضغط، وبما أنها في حالة حركة فلها زخم كما للمادة المتحركة، ولكن الفوتون يسير بسرعة ثابتة، وكتلة الفوتون تتناسب طردياً مع عدد ذبذبات الموجة في الثانية، وعكسياً مع طول الموجة، فكلما ازداد عدد الذبذبات، وكانت كتلة الفوتون أكثر، وفي نفس الوقت كانت طاقته أكثر، فكلية الفوتون في النور المرئي (الألوان) تساوي أجزاء قليلة من مليون جزء من كتلة الإلكترون الواحد، وفوتون الأشعة السينية يساوي نحو جزء من عشرة آلاف جزء من كتلة الإلكترون، ويبلغ في نوع من الأشعة كتلة الإلكترون، وفي أشد نوع من الأشعة الكونية يصل إلى كتلة ذرة الهليوم، وفي نوع أضعف من الأشعة الكونية يصل إلى نحو كتلة ذرة الهيدروجين.

النظرة القديمة للمادة أن لها وجوداً مستمراً في الزمان، ولكن النظرية النسبية تمثل هذا الوجود المستمر بخط مستمر في الزمان والمكان time - Space وهذا الخط ينحرف باستمرار مكوناً خطاً منحنياً تمثل كل نقطة من نقاطه (حادثة) وجود المادة في لحظة معينة من الزمن، وبذلك تدخل عامل التغير المستمر في الزمان والمكان والتغير المستمر الطارئ على المادة، وحسب هذه النظرية أن الوحدات النهائية للكون ليست المادة ولا التأثير الذي كان قد افترضه الماديون، بل الحوادث الفضائية الزمانية التي يتداخل بعضها في بعض وتتعاقب، وخلاصة الأمر أن النظرية النسبية تتفق مع الفلسفة المثالية في أن الأشياء غير ثابتة وليست كاملة مستقلة بذاتها، وكذلك ليس للزمان والمكان وجود مطلق، وهما يتأثران بذواتنا، والزمان والمكان متحدان ونحن لا ندرك هذا الاتحاد، كما أننا لا نستطيع أن ندرك أشياء كثيرة، ولا يحق لنا أن نزعّم أن الخواص الهندسية للكون الذي يمتد إلى شاسع الأبعاد تشبه الخواص الهندسية للجزء من الفضاء الذي نحل فيه، وكذلك الزمان الذي نشعر به لا يصح أن نفترض أنه يشمل العالم بأسره وأن له نفس التأثيرات، والسرعة والحركة والسكون ظواهر نسبية.